مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٤: ٩-١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرَزَنا نحن الرسلَ آخِري الناس كأنّنا مجعولونَ للموت. لأنّا قد صِرنا مشهَداً للعالَمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيح أمَّا أنتم فحكماءُ في المسيح. نحنُ ضُعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونعطَشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعَبُ عامِلين. نُشتَمُ فنُبارِكُ. نُضطَهدُ فنَحتَمِلُ* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّعُ. قد صِرنا كأقذارِ العالم وكأوساخٍ يستخبِثُها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكُم أكتبُ هذا وإنَّما أعِظُكم كأولادي الأحبَّاءِ* لأنَّه ولو كان لكم ربوةٌ من المرشدينَ في المسيحِ ليس لكم آباءٌ كثيرون. لأنِّي أنا وَلَدْتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي.

العدد ٢٠٠٨/٣٤

الأحد ٢٤ آب

تذكار القديس الشهيد في الكهنة أفتيشيس (سعيد)

تلميذ يوحنا الثاولوغس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

الأبوّة الروحيّة

«لأنّه ولو كان لكم ربوةٌ من المرشدينَ في المسيحِ ليس لكم آباءٌ كثيرون، لأنّي أنا ولدتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيل، فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي» (١ كور ٤: ١٥- ١٦).

الأبوّة الروحيّة مدماك أساسي في بناء الحياة الروحيّة، كما الإرشاد الروحي، وهي غير مفصولة البتّة عن سائر مداميك البناء، وهي التوبة والاعتراف وقبول المسيح في القلب من خلال حفظ الوصايا ومحبّة القريب كالنفس. وسنتكلّم على كلّ واحدة منها لافتين إلى بعض الأمور الأساسية في حياتنا في المسيح.

دور الأب الروحي أساسي في الحياة الروحيّة لأنه هو الذي يلد المؤمن بالمسيح، على ما قاله الرسول بولس (١ كور ٤:١٥). هو الذي يعرّفه على الرب يسوع، وهو لا يكتفي بهذا بل يقف دوماً إلى جانب المؤمن في مسيرته الروحيّة حتى يقوده إلى المسيح، ولا يقف حائلاً بين المؤمن وربّه، وعلى المؤمن أن يعي هذا الأمر ولا يتعلّق بأبيه الروحي وينسى هدفه الذي هو الحياة في المسيح. لقد وعت الكنيسة بدءاً أهميّة الأبوّة الروحيّة لأنّ الكتاب المقدّس وحده لا يكفي لكي نعرف المسيح، فنحن بحاجة إلى من عاشوا مع المسيح لينقلوه لنا كلمة معاشة في الجماعة المسيحية التي هي الكنيسة: «وإذا رجلٌ حبشيٌّ خصيٌّ وزيرٌ لكِنداكة ملكةِ الحبشَةِ... وكان راجعاً وجالِساً على مركبته وهو يقرأ النبيَّ إشعياءَ، فقالَ الروحُ لفيلبُسَ تقدَّمْ ورافِق هذه المركبة، فبادَرَ إليه فيلبُّسَ وسمِعَهُ يقرأُ النبيَّ إشعياءَ فقال ألعلَّكَ تفهمُ ما أنت تقرأُ؟ فقالَ كيف يمكنني إن لم يُرشِدني أحدٌ؟» (أع ٨: ٢٧-٣١). فالرسل الذين عاشوا مع الرب يسوع وآمنوا به أنّه المسيح ابن الله مخلّص العالم نقلوه كلمةً إلى الذين بعدهم، وهكذا دواليك حتى يومنا هذا، وهو ما يُعرف بالتقليد الشفهي، أي أنّك تنقل الرب يسوع إلى الذين بعدك كما تعرّفتَ عليه من الذين قبلك ومن حياتك معه. وليس صحيحاً أنّ الكتاب المقدّس يكفي لوحد ه في البدء لنعرف الله وابنه وروح قدسه، والدليل على ذلك أولئك

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا له وقال يا ربُّ ارحمِ ابني فإنَّه يُعذَّبُ في رؤوس الأهِلَّةِ ويتألَّمُ شديداً لأنَّه يقعُ كثيراً في النار وكثيراً في الماءِ* وقد قدَّمْتُهُ لتلاميذِك فلم يستَطيعوا أن يَشْفوه* فأجاب يسوعُ وقال: أيُّها الجيلُ الغيرُ المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتى متى أحتَملُكم. هلمَّ بهِ إليَّ إلى ههنا* وانتهرهُ يسوعُ فخرجَ منهُ الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلك الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفرادٍ وقالوا لماذا لم نستطِعْ نحن أن نُخرِجَهُ* فقال لهم يسوع لِعَدَمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كانَ لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردلِ لكنتُم تقولون لهذا الجبلِ انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقِلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجِنس لا يخرجُ إلاَّ بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليل قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم.

الذين يقرأونه ومع ذلك لا يعنيهم شيء، أو ربما يجدونه رواية جميلة لا تخلو من التناقضات، أو حتى يجدو ن فيه وسيلة للهجوم على الرب يسوع وتشويه صورته. إذاً في الكنيسة نتعرّف على صورة يسوع الحقيقية المعاشة في الجماعة التي هي بالحقيقة جسده وهو رأسها. غير أنه عندما تعرف الربّ يسوع وتقبله على أنّه ابن الله مخلّص العالم يكون الكتاب المقدّس عندئذ غذاءك الروحي اليوميّ الذي فيه تنمو في معرفتك بالرب يسوع وتتعلّم وصاياه التي تحيي كلَّ من يعمل بها، بإرشاد أبيك الروحيّ، وتسلك وفقها في الجماعة التي تتعلّم أن تحبها كما أحبّها الربّ يسوع وبذل نفسه لأجلها على الصليب.

الأب الروحي إذاً هو المرشد والمثال الذي يُحتذى به، وهو الحارس الذي يسهر على أن لا يشتّ أولاده الروحيون عن حقيقة الربّ يسوع، بسبب من كبريائهم وقلّة محبّتهم، ما يؤدّي بهم إلى الوقوع في الخطيئة، فيسيئون إلى العلاقة مع الرب ومع أعضاء جسده. وهنا يأتي دور التوبة والاعتراف الذي هو مصالحة مع الرب ومع الجماعة.

غالبيّة المسيحيين في مجتمعنا الكنسي يعتقدون خطأً بأن سرّ الاعتراف غير موجود في الكنيسة الأرثوذكسيّة، أو إنّه يقتصر فقط على الصلاة على الرأس التي يتلوها الكاهن يوم الخميس العظيم (خميس الأسرار) على رؤوس المؤمنين قبل أن يقتربوا من المناولة المقدّسة، وهذا عائد على الأرجح إلى الأفكار الشعبيّة المتوارثة، ومنها أن الإعتراف يصير مباشرة لله وأن المناولة تجوز مرّة أو على الأكثر ثلاث مرات في السنة، حيث يتلو الكاهن صلاة الحلّ على رأس من يريد الاشتراك في المناولة المقدّسة، بالإضافة إلى عدم ثقة المؤمنين بالكاهن المؤتمن على سرّ الاعتراف.

أولاً علينا التأكيد أن سرّ الاعتراف هو سرّ من أسرار الكنيسة، وهو سرّ الولادة المتجدّدة بالتوبة والمصالحة مع الله ومع الجماعة، وهو يقوم على اعتراف المؤمن أمام الكاهن بالخطايا التي اقترفها والتي يكون قد تاب عنها، فيمنحه الكاهن الحلّ من خطاياه باسم الرب يسوع المسيح (ليس الكاهن هو الذي يغفر الخطايا بل الرب يسوع بواسطة الكاهن)، فالكاهن هو الذي يمثّل الجماعة التي أخطأ إليها المؤمن التائب، ويشهد على توبته من جهة، وهو الذي يمثّل الرب يسوع الذي يعترف التائب بخطاياه أمامه من جهة أخرى. فوجود الكاهن ضرورة إلاّ إذا لم يكن هناك كاهن على الإطلاق. حينئذ، وبصورة استثنائية، يُستحسن أن يفضي المعترف باعترافه لأحد المؤمنين الأتقياء، وبالصلاة وطلب الرحمة يكون الحلّ من الخطايا.

كثيرون يخلطون بين الإعتراف من جهة والإرشاد الروحي وكشف الأفكار من جهة ثانية. في الإعتراف نقرّ بخطايا ارتكبناها، نقرّ بها بكلّ نيّة صادقة وتوبة حقيقيّة. أما في الإرشاد الروحي وكشف الأفكار فإننا نفتح للأب الروحي صدرنا ونكشف له أفكارنا ومكنونات قلوبنا، ونصغي إلى إرشاده ونطيعه كما لو كانت كلماته من عند الرب. وقد يكون الكاهن المعرِّف والأب الروحي واحداً وقد لا يكونان. كل كاهن مُعَدّ

تأمل

لا يعلّمنا مثال السيد الوداعة فقط بل العطف نحو الآخرين. نحن لا نستحق بسبب خطايانا رحمة وعطفاً، فقد رحمنا الله وما كنا ننتظر رحمة. حرّرنا المخلّص من عبودية الشيطان وأعتقنا من هوس العدو غير المنظور وخلّصنا من عبودية الخطيئة ورباطاتها. كانت الأهواء تحزننا وكانت كالجبال بثقلها تضغط على صدورنا، وكانت عبودية الشيطان تزداد ظلماً يوماً بعد يوم. وأمام هذه المأساة وقفنا في حيرة كاملة. وصلنا إلى درجة العري النفسي الكامل. لم يكن لأحد أن يمدّ لنا يد المساعدة. صرنا موطئ قدم للعدو. ممن نستقي ماء التعزية عن خطايانا المرة؟ أمنّا نحن؟ أمن الغير؟ البشر كلّهم يشعرون بعجزهم الكامل عن مساعدة الآخرين. وماذا أقول؟ أدواء؟ أعون وشفاء وقد وصلنا إلى مثل هذه الحالة المؤسفة التي لا تمكّننا من التفكير حتى بضرورة الطبيب؟ لقد خلّصنا السيد

إعداداً وافياً لممارسة سرّ الاعتراف يقدر أن يكون كاهناً معرِّفاً، وهذا ليس حال الأب الروحي. فالأب الروحي ليس بالضرورة كاهناً، لكنه شخص تتوفر فيه مقوّمات أساسيّة هي أن تكون له حياة روحيّة أصيلة، وأن تكون له نعمة التبنّي والتربية في الروح القدس، وأن يكون مشهوداً له بذلك. فبين الاعتراف والإرشاد الروحي إذاً فرق. الكاهن المعرّف هو علامة منظورة لمصالحة المؤمن مع الله والكنيسة، أمّا الأب الروحيّ فهو علامة منظورة لتبنّي الله للمؤمن في مسيرته الروحيّة.

الشكر

«صلُّوا بلا انقطاع، اشكُروا في كلِّ شيءٍ لأنَّ هذه هي مَشيئةُ اللهِ في المسيحِ يسوعَ من جهتِكم» (١ تسا ٥: ١٧ و١٨).

إحدى آفات العصر الغريبة عن الأخلاق المسيحية والإنجيلية، هي نكران الجميل وجحود الإنسان للخير والرحمة اللذين يحلاّن عليه من الله أو من أخيه الإنسان. فكثيراً ما نسمع في حياتنا اليومية عن أشخاص أداروا ظهورهم للذين أحسنوا إليهم وساعدوهم للإنطلاق في حياتهم، هذا إذا لم نقل انهم قد يتكلّمون بالسوء على مَنْ فعل معهم الخير. وذلك بدل تقديم الشكر لمن مدَّ لهم يد العون والرحمة. ولنا في الكتاب المقدس مَثَل البرص العشرة (لو ١٧: ١٢–١٩) نموذجاً لنكران الجميل وعدم الشكر. لقد شفى الرب يسوع عشرة رجال برص، لكن واحداً فقط سامرياً عاد ليشكره. «فأجابَ يسوعُ وقال أليسَ العشرَةُ قد طهَروا. فأين التسعةُ؟ ألم يوجَدْ مَنْ يرجِعُ ليُعطِيَ مجداً للهِ غيرُ هذا الغريبِ الجنسِ» (لو ١٧: ١٧ و١٨). المشكلة تكمن تحديداً لدى أبناء الإيمان، أو الذين يدَّعون الإيمان. فكم من إنسان يدّعي انه مسيحي يشكر الله على كل شيء؟

إحدى أهم الصفات الروحية التي تميِّز الإنسان المسيحي هي الشكر. فالمسيحي إنسان يشكر ويحمد في مختلف الظروف، في كل حين ولأجل كل شيء. ذلك لأن الشكر متجذر في القناعة الثابتة لديه برحمة الله واهتمامه بكل شيء، والإيمان الثابت ان الله يعمل كل شيء لخير الذين يحبّونه كما يقول الرسول بولس: «ان كل الأشياء تعملُ معاً للخيرِ للذينَ يحبُّونَ اللهَ» (رو٨:٢٨). الإنسان الشكور لديه يقين بأن كل ما لديه هو من الله الذي «من مِلئِه نحن جميعاً أخذنا ونعمةً فوق نعمة» (يو ١: ١٦)، وهو الذي يقبل كل شيء بشكر حتى وإن بدا هذا الشيء لا يناسبه بحسب مقاييسه البشرية، كما يعترف بجميل الناس عليه إذ يرى الله يعمل من خلال هؤلاء.

من خلال قراءة العهد القديم نلاحظ ان الشكر شكّل محوراً مهماً من حياة الشعب، وخاصة في الجانب العبادي للإله الواحد. في الحديث عن الذبائح هناك ذبائح الشكر التي يقدِّمها الإنسان ليشكر الله على ما أعطاه، كما نقرأ في كتاب المزامير: «حَسَنٌ هو الحمدُ للربِّ والترنُّمُ لاسمِكَ أيُّها العليُّ أن يُخبَر برحمتِكَ في الغَداةِ وأمانَتِكَ كلَّ ليلةٍ» (مز٩٢:١)، و«ادخُلوا أبوابَه بحمدٍ، ديارَهُ بالتسبيح، إحمَدوهُ، باركوا اسمَهُ» (مز١٠٠: ٤).

بذاته من هذه الحالة الشقية. لم تخلّصنا لا الملائكة ولا أي مرسل من المرسلين. خلّصنا المخلّص الذي نشتمه ونهينه بحياتنا الخاطئة.

هنا يقوم التعجب العظيم الذي لا يستطيع أن يدركه الإنسان ولن.. ان المسيح لم يرد أن يخلّصنا من عذابات الشر فقط بل أخذ على عاتقه آلامنا وعذاباتنا ليجعلنا نحن الخطأة سعداء، لأنه في «أيام حياته البشرية» (عب ٥:٧)، في حياته على الأرض، تحمّل كثيراً تحنّناً علينا ورحمة بنا.

... لا يمكن أي حنان، مهما كان عظيماً، أن يقارن بالقليل من حنان المخلّص ومحبته. يكفي أن نفكر بعطف المخلّص نحونا وبمقداره حتى تستيقظ فينا محبة اخواننا فنشاركهم الألم الذي يعانون، والعذاب الذي يذوقون. ان المخلّص يدعونا هذه الدعوة، يدعونا لتوحيد موقفنا بالنسبة للآخرين مستوحين رحمته الإلهية: «كونوا رحماء كما ان أباكم السماوي رحيم» (لو ٦: ٣٦).

القديس نقولا كاباسيلاس

في العهد الجديد نرى الرسول بولس في مقدمة معظم رسائله يشكر الله على إيمان أبناء الكنائس التي بشَّر بها (رو ١:٨، ١كور ١:٤، إلخ...)، وذلك رغم الأتعاب والمشقات التي كان يكابدها خلال بشارته لهم. ولما تأسست الكنيسة كان الشكر جوهر حياتها عبر الإفخارستيا أي سر الشكر. في القداس الإلهي، في سر الشكر، يرفع المؤمنون قلوبهم إلى العلاء، في الكلام الجوهري، ويشكرون الرب على كل ما صنعه من أجل خلاصهم، وعلى «كل الإحسانات الواصلة إلينا التي نعلمها والتي لا نعلمها، الظاهرة وغير الظاهرة...»، كما يشكرونه على تقبّله الذبيحة المقدمة «مع انه قد وقف لديك ألوف من رؤساء الملائكة وربوات من الملائكة». إذاً، في القداس نشكر الله على تدبيره الخلاصي وعلى سماحه لنا أن نشترك بجسد المسيح الكريم ودمه المقدس وعلى اتحادنا به. القداس الإلهي هو ذبيحة شكر على ما قام به الرب لأجل خلاصنا، وما نقدمه هو ما أعطانا إياه هو، فلا منَّة لنا. «التي لك مما لك نقدِّمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء. إيَّاك نسبّح، إياك نبارك، إياك نشكر يا رب وإليك نطلب يا إلهنا».

يشدِّد الرسول بولس على ان الشكر هو من صفات القديسين: «وأمَّا الزِّنا وكلُّ نجاسةٍ أو طَمَعٍ فلا يُسَمَّ بينكم كما يليقُ بقدِّيسينَ، ولا القباحةُ ولا كلامُ السفاهَةِ والهَزْلُ التي لا تليقُ بل بالحريِّ الشكرُ... شاكرينَ كلَّ حينٍ على كلِّ شيءٍ في اسمِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ للهِ والآبِ» (أف ٥: ٣ و٤ و٢٠).

الشكر هو أيضاً شرط أساسي لقبول طلبتنا أمام الله. حتى ان الرب يسوع قبل أن يطلب من الله إقامة لعازر من الأموات شكر الله على كل شيء: «رفع يسوعُ عينيهِ إلى فوقُ وقال أيُّها الآبُ أشكرُكَ لأنَّك سمعتَ لي... ولمَّا قال هذا صرَخَ بصوتٍ عظيمٍ لعازرُ هلُمَّ خارجاً» (يو ١١: ٤١–٤٣). كما ان الرسول بولس يوصي سامعيه: «افرحوا في الربِّ كلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا... لا تهتمُّوا بشيءٍ بل في كلِّ شيءٍ بالصلاةِ والدعاءِ مع الشكرِ لِتُعلَم طِلباتكم لدى الله» (في ٤: ٤ و٦). ضمن هذا السياق تبدأ الصلوات في الكنيسة الأرثوذكسية بالشكر على ما صنعه الله لأجلنا، وبعدها تأتي الطلبات.

المسيحي يشكر الله ليس فقط على ما يظنه هو جيداً، بل يشكر على كل شيء حتى حينما يبدو الأمر سيئاً أو غير مناسب، لأن المؤمن يعي ان الله لا يريد إلا خير الإنسان، وما نظنه نحن شراً قد يكون وسيلة للنمو الروحي والخلاصي إذا فُهم بطريقة صحيحة. المهم أن نثق بالله مخلّصنا وانه «يريد أنَّ جميعَ الناسِ يخلُصونَ وإلى معرفةِ الحقِّ يُقبِلونَ» (١ تيمو ٢:٤). أن نشكر الله في كل حين ولأجل كل شيء هو نتيجة الإيمان به والوثوق بأنه يعلم حاجات خلاصنا وحاجات حياتنا اليومية. فالذي أرسل ابنه الوحيد ليُصلب لأجلنا لن يوفر مسعًى لكي يجلب لنا السلام والفرح والحياة الأبدية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb